شخصية محمد يحضيه شعاع ثقافي من بلاد شنقيط إلى الهقار

Muhammad yahdih is a cultural ray from the country of Chinguetti to the Hoggar

خديجة هابة

المركز الجامعي بتمنراست ayaat4488@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2018-10-31 تاريخ القبول: 2020-05-08 تاريخ النشر: 2020-05-31

الملخص:

تتمحور هذه الدراسة حول شخصية العلامة محمد يحضيه السملالي الشنقيطي (1895-1955) الذي ارتحل إلى منطقة الهقار وقد ركزت في ثنايا هذه الورقة العلمية على ثلاث محاور مهمة هي :

- نبذة تاريخية عن عائلة السماليل وأبرز أعلامهم المشهورين في الجانب الديني و السياسي ، وكنموذج أشرت إلى رجل الدين أحمد بن موسي السملالي وشخصية أبي حسون المشهور ببودميعة مؤسس إمارة السماليل في المغرب الأقصى
- التعريف بشخصية محمد يحضيه السملالي و نسبه ، تنقلاته و تعليمة
- تحدثت عن دوره في إنعاش الحياة العلمية و الثقافية إضافة لدوره الاجتماعي في منطقة أبلسة

وختمت بجملة من النتائج والاستنتاجات .

الكلمات المفتاحية : محمد يحضيه ، السماليل ، الهقار ، منطقة أبلسة

Astract—

This study centred around scientist Mohamed yhadaih samlali Al-shanqeeti (1895-1955) , Who went to the Hoggar region , and In this research focused on three axes

- A brief history of the alsmalil family, And their famous personalities , in the Religious and political side, As an example I pointed to the cleric Ahmed ibn Musa samlali And Abu Hassoun, who is known as Boudmea , Founder of the Principality of Samalilil, Morocco
- Definition of Mohamed yhadaih samlali , and his origin, his movements and His learning.

- I talked about his role in prosperity Scientific and Cultural Life , In addition to his social role in the region of Abelsa

Keywords: Mohammed Yahdhi, Samalil, Al-Hager, Abelsa area

امقدمة

عرفت مجتمعات الصحراء الكبرى بزور عدة عائلات حملت لواء العلم ، و التجارة والسياسة و الرئاسة ، وانتشر أفرادها من أجل تلك المرامي في عدة مناطق من ربوع الصحراء مثل: عائلة الكنتين ، التي يعود نسبها لعقبة بن نافع فاتح بلاد المغرب هؤلاء انتشروا في الصحراء ، و تفرعوا لكنته الشرقيين وكنته الغربيين ، وكذلك عائلة السماليل التي ذاع صيتها و لعبت دور كبير بشخصياتها المميزة خاصة في الجانب الديني و السياسي و العلمي، هذه العائلة كان موطنها الأصلي المغرب الأقصى في الجنوب بإقليم سوس ، ثم انتقل أحد فروعها إلى موريتانيا كما وصل أفردها إلى مناطق أخرى كالجزائر ، و السودان ونيجيريا بل حتى إلى المملكة العربية السعودية فقد امتدت فروعها داخل وخارج القارة .

ومن خلال ذلك أردت أن أسلط الضوء على أحد شخصيات هذه العائلة ، شخصية لعبت دور مميز وفعال في ارض الهقار، وبالتحديد منطقة أبلسة موطن ملكة الطوارق الملكة تنهينان . إنها شخصية محمد يحضيه السملالي الذي ارتحل من بلاد شنقيط واستقر بمنطقة الهقار . وعليه ما هو الدور الذي لعبه الشيخ محمد يحضيه الشنقيطي في مجتمع الهقار ؟

II تعريف السماليل :

السماليل هم اتحادية قبلية من الشرفاء و الجازوليين ، وقد نسبوا لجبل سملال او سملالة بالمغرب الأقصى و كونوا دولة قوية في إقليم سوس وكانت تربطها علاقات تجارية وسياسية بالصحراء[1] من بلاد شنقيط[2] ويشار لهم كذلك بإداو سملال أو إدو سملال ، ومصطلح إدو سملال أمازيغي الأصل ويفسر أن إدوا كلمة يشير للجمع أي القبيلة (قبيلة سملال) ، أما مفردها أسملال وتعني سملالي. ويذكر مختار السوسي في كتابه إيليغ أن" إد" معناها " آل"[3] و حسب ما ورد في القاموس اللغوي : سملال بمعني أهل العلم و الصلاح

أما بالنسبة للقبيلة فهم ينحدرون من سملال بن هلتيت أو ولتيت أحد القبائل الأمازيغية الأصلية ووليت هو من أحفاد سيدي زوزان الجازولي النازح من منطقة تامدولت بعد خرابها[4]

)، وهذا يعني أن إدو سملال هي : إحدى القبائل الثلاث المنتمية إلى قبيلة إدو ولتيت التي تضم إلى جانب ادو سملال ، قبيلة إدو باعقيل (باعقيلة) و إدارسموكت (ورسموكة) ، حيث أن سيدي زوزان خلف ثلاث أبناء هم محمد و أولاده هم باعقيليون ، والابن الثاني حركيل وأولاده بالرسموكيين و الثالث إدريس و أولاده هم السماليل [5]

والمصطلح يشير أيضا إلى أن قبيلة سملال او السملاليون ، تعود للمنطقة سملالة في المغرب الأقصى و المسماة نسبة لسملال بن وليت أو هلتيت – وجده سيدي زوزان ومن خلال هذا فان مصطلح او تسمية السماليل يعود لمنطقة سملالة التي سميت بدورها على احد القبائل التي قطنت المنطقة و المسماة ب: إدو سملال و هي تعود بأصلها إلى ولتيت او هلتيت الامازيغية . وهنا نلاحظ أن أصل التسمية هي غير النسب فنسبهم يعود إلى على أبن أبي طالب, و أول من نزل بمنطقة سملالة من رجال هذا النسب هو جدهم الأعلى جد كل السماليل المعروف بـ : "جندب او كندوز" او "جنيد "وهو إبراهيم عبد الرحمان بن محمد بن احمد بن حسين بن إسماعيل بن جعفر بن عبد الله بن حسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب . وقد نزل جدهم جنيد في القرن الثالث هجري بجبل جزولة من أرض سملالة ، فارا من بطش الخلفاء العباسيين وقد احتضنه قبيلة بربرية هناك ، وقبره الآن في سملالة عند بومروان وهو مشهور ومزورا [6]. و ينقسم السملاليون إلى عدة فروع منهم : الايكاكيون (منهم احمد بن موسى وذريته) ، الشنجيطيون (الذين ارتحلوا إلى بلاد شنقيط)[7] وعليه يكون فرع السماليل في المغرب الأقصى هو الفرع الرئيسي الذي خرجت منه فروع السماليل الأخرى التي انتشرت في موريتانيا ، ومنهم محمد بن علي جد بودميعة مؤسس الدولة السملالية[8] والطالب إبراهيم الجد الخامس لمحمد يحضيه السملالي[9].ومن المهم الإشارة أشهر أعلام السماليل الذين لعبوا دور بارز في تاريخ المغرب وهم:

– الشيخ سيدي أحمد بن موسى الجازولي السملالي التزروالتي: رجل الدين الذي اشتهرت في عائلة السماليل 853هـ, كأعظم علماء عصره حيث قطن في منطقة تزروالت، وكان مشهور من كبار الصوفية, حيث كانت له زاوية تتوارد عليها القوافل لذلك ذاع صيته بين الناس . و لقيمته وقدره العالي ، زاره السلطان السعدي شخصيا من مراكش إلى تزروالت بجيشه وأبهة ملكه ، ومكث عنده السلطان مولاي عبد الله الغالب بالله السعدي ثلاث أيام وقد أعلن بأنه خاص للعرش المغربي, كما زار هو الأخر السلطان في مراكش وهناك كثر زائريه من الرعية بشكل كبير وعجيب حيث وقع عليه الزحام "[10] ، وكان له أكثر من300 شيخ ومريد كادوا يملئون كل المغرب في حياته, ولم يضاهيه

أحد في سوس عاش طويل حوالي118 سنة وتوفي في 971هـ ، وله 5 أولاد وعدة بنات و أولاده هم :عبد الله ،محمد ، على ، الحسن و عبد الباقي . وقد توزعوا في أنحاء المغرب ووصلوا حتى الجزائر حيث كانت لهم قرية خاصة [11] .

– أبي حسون : وهو من أكبر الشخصيات السملالية حيث اشتهر كرجل دولة وهو أحد أحفاد أحمد بن موسي المذكور أنفا، لقب بودميعة [12] وبمرابط الساحل ، أمير سوس, وشيخ زاوية إيليغ ، وهو ثالث أمراء الأسرة الجازولية ، و أعظم أمراء المغرب بعد سقوط الدولة السعدية[13]. ولد في 1001هـ وتولى الإمارة وعمره 21 سنة ، تولي الأمارة في 1021هـ, شاع أمره وعلى شأنه كونه مؤسس إمارة السماليل في إيليغ[14].بعد سقوط الدولة السعدية سيطر على مناطق واسعة في الجنوب (إقليم سوس, مدينة إيليغ ، درعة ، سجلماسة ..)، ثار عليه الشرفاء العلويين وسقطت دولته بعد وفاته 1069هـ, ثم بعد فترة من الزمن استرجعت من طرف أحفاده , وقد تفرق بعض أبنائه في الصحراء وبقي منهم في سوس ، و منهم من توجه لصحراء بلاد شنقيط مثل حفيده الطالب إبراهيم بن أبي بكر الذي مثل أصل فرع السماليل في موريتاني[15] .

نزل الطالب إبراهيم بن أبي بكر بن سيدي على بودميعة بمنطقة إديبسات [16] في موريتانيا ، وتزوج بفاطمة بنت الطالب المختار فأنجب ولدان هما و بابا وعبد الرحمان وهما أصل فروع قبيلة السماليل في موريتانيا ، وفقد توزعوا في موريتانيا في المناطق التالية: أدرار – نواكشوط – المذرذرة – صانقراقة – تامشكط – أعيون العتروس – عدل لبقرة – النعمة [17].

III التعريف بشخصية محمد يحضيه :

1 نسبه :

يعود نسب محمد يحيضه السملالي إلى محمد الأمين بن الحاج مختار بن سيدي مولود بن طالب أحمد بن عبد الرحمان بن الطالب إبراهيم ابن أبي بكر بن سيدي على بودميعة الذي يعتبر جده السابع[18]. وقد خلف محمد يحيضه ثلاثة أولاد وهم : * محمد محمود وهو على قيد الحياة * السني وهو على قيد الحياة * محمد فاضل متوفى ، وله ابن اسمه محمد يحيضه وهو حاليا أستاذ في التعليم العالي بجامعة الملك فصل بالمملكة العربية السعودية .

2 حياته (تعليمه و تنقلاته) :

ولد الشيخ محمد يحضية سملالي ببلاد شنقيط في 1895م في مدينة العيون من عائلة شريفة النسب فوالده هو محمد لمين بن الحاج المختار في قبيلة طيبة ولما دخل الاستعمار لموريتانيا هاجر الكثير منهم متجهين إلى الحجاز وكان من بينهم العلامة حيث اتجه وجهتهم, ثم عاد لشمال أفريقيا ثم لليبيا و استقر في النهاية بأرض الهقار في حوالي 1936بمدينة أبلسة[19].

أما بالنسبة لتعليمة فقد تتلمذ على يد والده حيث حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة, غادر موريتانيا في سن السادسة عشر أي سنة 1912 إلى مصر و الحجاز[20] وكان دافعه للمغادرة هو من اجل تزويد معارفه ، فالسماليل مشهورين بكثرة التنقل من اجل العلم و التعليم كما كانت له واقعة مع والدته التي كانت سبب في عقده العزم للخروج وكسب المعارف ، حيث أنها نادته بالجاهل حينما طلبت منه أن يحضر لها الماء و قد تأخر في الاستجابة لندائها وذلك لانشغاله بالقراءة ، و حينها علم انه بحاجة إلى معرفة أوسع فقرر التوجه نحو المشرق لبلوغ الهدف المنشود [21] و هناك رواية أخرى حسب ما رواه تلميذ الشيخ قدي مبارك عن الشيخ نفسه انه سبب خروجه أن أخته نادته بالجاهل ، لأنها وجدته يشرب من القربة دون إناء فقرر الخروج مع القوافل إلى المشرق لطلب العلم [22] فربما سبب قراره لكثرة مناداته بالجاهل

وخلال رحلته نهل الكثير من العلوم من علماء عصره , حيث أنه استقر في مصر قرابة 6 سنوات, تلقن خلالها دروس بجامع الأزهر حتى صار من أبرز العلماء فقها وقراءة[23]، واتجه إلى للحجاز ليأخذ عن مشايخها في شتى المجالات أثناء تواجده أدي مناسك الحج فقد حج سبع حجات ، فكان يستقر في مصر وكل عام يذهب للحج فكان يتردد بين مصر و الحجاز ؛ وقد ولع الشناقطة بالذهاب للحج حيث كانوا كثيري الذهاب للحج وهذا ما ذكره سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي التجككتي (ت 1233هـ/ 1818م) قال: " وكان الركب يمشي من شنقيط إلى مكة كل عام ويتعلق معهم من أراد الحج من سائر الأفاق ، وحتى ا ن أهل هذه البلاد ...إن رؤوا لا يعرفون عند أهل المشرق إلا بالشناجطة إلى الآن وقد تخرج الدار كلها حتى لا يبقى فيها صغيرا ولا كبيرا من شدة اعتناءهم بالحج " ، وقد كان ركب الحجاج يخرج من ولاتا إلى توات ومنها إلى فزان وابتداء من نهاية القرن 19م تعددت طرق الحج لدى أهل هذه البلاد بسبب السيطرة الاستعمارية في مختلف المناطق لذا اتخذ بعض الحجاج طرق طويل من نهر النيجر عبر تشاد إلى السودان ثم مصر[24] .

وفي مصر تلقي أكبر قدر من العلوم و المعارف حيث أنه برع في الفقه والحديث , الجغرافيا علم فلك وهنا على الأغلب انه كان في مصر في فترة الثلاثينيات التي صادفت عهد إصلاحات

التي أحدثها محمد مصطفى المراغي وهو أحد أكبر المشايخ في الأزهر ثم اتجه إلى النيجر و ثم ليبيا ومنها للجزائر وذلك لغرض نشر العلم [25] .

أما وفاته : حسب ما يرويه طلبته انه لم يكن مريض صلى بنهم المغرب ودخل بيته لأنه يحس بالحمى وبعد صلاة المغرب عاد الناس لديارهم و بقي صالح موسى و بوجمعة قدور ، بقيا هناك في المسجد يترددون عليه من حين لأخر حتى صلاة العشاء حيث أرسل لهم الشيخ ابنه محمد فاضل ليخبر الناس في المسجد بأن يصلوا العشاء ولا ينتظرونه لأنه يحس بوعكة صحية وعندما صلى الناس العشاء حيث أمهم صالح موسى انذك ، وما إن عادوا لديارهم حتى وصلتهم نبأ وفاته الشيخ محمد يحيضه ، وقد جاء محمد فاضل لصالح موسى واخبره وبعدها انتشر الخبر بين أهالي أبلسة وانتقل بسرعة خبر وفاته المفاجئ إلى ايقلن و سلبورق ، تيفرت ، كل قرية كانت ترسل الخبر للقرية المجاورة .أما بالنسبة لتسيير المسجد فقد خلفه تلاميذ صالح موسى الذي كان اقرب المقربين له ، و عبد القادر تواتي ، وبختي عبد القادر وغيرهم ممن درسهم ومكنهم من العلوم الدينية . مات الشيخ وقد كان يوصي الناس دوما على التمسك بالعلم وكان يوصيهم بالفقراء و المساكين خيرا [26] .

أما ما خلفه الشيخ هو ختم كان يستعمله الشيخ في مراسلاته ، وقد تمت صناعته في مصر ، نقش عليه اسمه محمد يحيضه ولد الحاج مختار السملالي وهو مؤرخ بعام 1347 هـ / 1928 م ، والشيء الثاني صورة له التقطت كذلك في مصر كانت في بطاقة الهوية الخاصة به وعليها ختم به أحرف باللاتينية ، إضافة لرسالة كان قد أرسلها للشيخ احمد الفلاني يهنئه فيها بعيد الأضحى [27] .

IV دوره الثقافي والاجتماعي في الهقار

بعد مدة من الترحال من بلاد شنقيط إلى مصر والحجاز ثم ليبيا و النيجر وصل الشيخ أخيرا إلى الأرض الهقار في ثلاثينيات القرن الماضي و دخل قرية اسليسكين حيث رحب به أهلها[28] ومنها إلى قرية داغمولي[29] حيث مكث هناك يومين او ثلاثة وقد اخبر شيخ عبد الرحمان الهيباوي شيخ زاوية داغمولي قائلا : " ابحث أين انفع نفسي وانفع غيري من علمي " فقال له سأرشدك أين تذهب اذهب (لرجال البلاد) ، وبقي يفكر في العبارة التي لم يفهمها خاصة انه غريب عن المنطقة ولا يفهم لهجتها كثيرا ، وفي اليوم التالي جاءه الشيخ عبد الرحمن عند الزاوية فسأله ثانية أين يوجد رجال البلاد اللذين أخبرتني عنهم بالأمس ، فقال له اذهب إلى أبلسة مع الوادي[30] في ذلك الوقت

كانت منطقة أبلسة من اكبر المناطق الفلاحية في الهقار ، وهناك قرر الذهاب إليها [31] وحسب ما يرويه تلميذه قدي بوجمعة انه كان يحاول فتح مدرسه قرآنية في داغمولي، لكن الشيخ أشار له أن يذهب لأبلسة كون منطقة داغمولي قليله السكان [32] .

دخل أبلسة جهة الشرق عند المقبرة ، دخلها وهو اعزل لا يحمل إلا قارورة ماء و عصاة ، فوجده عمي محمد بوغردة [33]، فأخذه إلى بيته وأكرمه وتبادلا أطراف الحديث ، وعرف خلال ذلك أن هذا الشخص غريب حل بأرض الهقار من بلاد السودان و علم انه عالم ، وقد كان افرواق كونشي من أقارب بوغردة يتردد عليه من حين لأخر وهناك وجد الشيخ ورآه وهو يقرا القران ويسبح ،ويصلي وقد تحدث وقال بالتارقية :" أنسلم يلن إيلاغ بوغردة " أي هناك إنسان مسلم وعالم عند بوغردة ، فجاءته فكرة أن يدرس لهم أولاد القرية ، فسر الناس لوجوده قائلين : "هذا ما نحن بحاجته " [34] وبعد مدة من استقراره هناك كان أول دور قام به الشيخ في المنطقة هو :

1 فتح مدرسه قرآنية للتعليم :

في البداية بدأ تعليم الصغار في منزل احد أعيان المنطقة وهو احمد محمود بحي فقارة أولاد غالي شرق أبلسة ، حيث كان في بيته جامع تقليدي قديم للصلاة (عبارة عن قطعة ارض محاطة بالحجارة)، وحسبما يذكر تلميذ الشيخ قدي محجوب : " كان يعلمنا فيه الصلاة وهناك كنا ندرس وبعد أسبوعين أو ثلاثة انتقلنا إلى المسجد العتيق في وسط القرية " [35] ، من الحوادث المهمة أنذلك وحسب ما يرويه تلاميذه ، انه في يوم من الأيام ونحن مازلنا ندرس في بيت احمد محمود صلينا العشاء و قد أمرنا الشيخ بالخروج وان نردد الشهادتين كل الطريق بصوت عال وما إن وصلنا منتصف الطريق حتى حاول أحد الأشخاص إسكاتنا قائلا لنا : " أصمتوا انتم تتمنون الموت "، و في صباح اليوم التالي سألنا الشيخ ما الذي أسكتكم فجأة البارحة فشرحنا له ما حدث لنا حينها، و بأن هناك شخص قام بإسكاتنا ، وهناك قام الشيخ بجمع كبار المنطقة وناقشهم في الأمر وسألهم لما لا تتردد الشهادتين آنذاك إلا في الجنازة كما رغبهم في الدراسة وعليه و لم يقتصر دور محمد يحضيه في تدريس الصغار بل حتى الكبار، و نذكر منهم: الشيباني محمد تريمبي وابن عمه الشيباني لمقمر، عمي دادة حمدي ، عبد القادر حمادي ، كانوا يتعلمون وتسمعون الحديث الديني من اجل التفقه في أمور الدين والدنيا [36].

ويؤكد تلاميذه أن في عهده لم يبق أحد في سن الدراسة إلا والتحاق بالمدرسة سواء كانوا بنات و بنين ، شيب و شباب، و خاصة أنهم كانوا متفرغين للدراسة، ولا يوجد ما يشغلهم من غير العمل

في المزارع ، فكانت قراءة القرءان متواصلة على شاكلة ما كان موجود في محاضر توات [37]، وكانت أوقات الدراسة في ثلاث فترات :

- الفترة الصباحية : من أذان الفجر إلى الضحى .
- فترة الزوال : قبل أذان الظهر إلى العصر
- الفترة المسائية : تبدأ بعد أذان المغرب إلى العشاء [38] .

أما أهم ما تعلمه الطلبة ، فيذكر أحد تلاميذه تعلم الحروف و الكتابة والقراءة وقراءة القرآن الكريم و أمور الدين والتوحيد و الأدعية و بعض القصائد ، والمتون والفرائض و السنن العبادات وما يتعلق بها من أحكام وغيرها من الأمور الدينية .و أهم التلاميذ الذين درسوا عند الشيخ و تخرجوا على يده نذكر منهم : مولودي هارون * عبد القادر تواتي * عبد القادر ولد كادي *عبد القادر بختي * صالح موسى * افروق محمد وهم من الحافظين لكتاب الله ومعظم هؤلاء السلف فتح مدارس قرانية في أبلسة ودسوا عندهم الكثير من أبناءهم والخلف [39] .

و لم يقتصر جهود الشيخ محمد يحضيه في التدريس الأهالي بأبلسة فقط بل تعداه إلى القرى والمناطق المجاورة حيث كان يأتي بعض الطلبة للدراسة من القرى المجاورة مثل قرية ايقلن و تفرت و أقاجر و إندسين ، وحتى البدو الرحل خارج أبلسة حيث كان منهم من لا يعرف شيء من القرءان حتى ما يؤدي به الصلاة ، فكان الشيخ محمد يحضيه شخصيا يتنقل لهم ويعلمهم ما تيسر منه ليتمكنوا من أداء الصلاة ثم بعد مدة كان يحضر منهم شخص أو اثنين عند الشيخ و يبقى عدة أيام حتى يحفظ بعض السور القرآنية ثم يعود لقومه فيلقنهم ما تعلمه [40].

2 مواصله بناء المسجد العتيق :

لقد كانت بداية أشغال بناء مسجد أبلسة قبل وصول الشيخ محمد يحضيه حيث بدأ في بناءه كبار الفلاحين بتحفيز من السيد أحمد الفلاني [41]و محمد عبد الله الخراشي [42]، الذي كان أول من أمر ببنائه مصرا أن يكون لهم مسجد، وقد تساءلوا عن من يؤمه فأجابهم ابنوه وسوف يبعث الله من يؤمه وما إن بدأت أشغاله حتى أرسل الله محمد الذي يشجع تلاميذه على مواصله البناء حيث كان الكثير منهم يبنون هناك يبيتون هناك حتى تكون الأشغال مستمرة [43]، وبذلك أشرف الشيخ على استمرارية وإتمام بناء المسجد حيث كان هو أول من باشر فيه إمامة الناس وبعد أن أصبح في أبلسة جامع يجمع الناس لإقامة الصلوات الخمس بعدها قرر مباشرة كخطوة مهمة ، إقامة صلاة الجمعة في المنطقة[44] .

أما بالنسبة لمن شارك في البناء المسجد فقد قسمت الجهود بين الفلاحين و الطوارق ، فالفلاحين اهتموا بالبناء و الطوارق من قبيلة أولاد غالي كانوا يجلبون الماء من الفقارة[45] مستخدمين القرب، وكانوا يأتون بالخشب من مكان قريب لضريح الملكة تنهينان جهة الوادي وهكذا تم بناء المسجد واستمر الشيخ السملالي في الإمامة حتى وفاته ثم خلفه تلاميذه في تسيير هذا المسجد حيث كان جوجي موسى المؤذن وخلفه بختي عبد القادر في الإمامة [46] .

3 إقرار إقامة صلاه الجمعة في أبلسة :

تعتبر خطوة جريئة قام بها الشيخ ، ومن أهم الخطوات التي أقرها متحديا كل المصاعب ،فقد كون طلبته إلى أن بلغوا حدا من التعليم حينها قرر الشيخ أن يقيم الجمعة فرد عليه بعض المشايخ كيف تقيم الجمعة وجل الناس في جاهلية عن شؤون دينهم لا يعرفون القراءة ولا الكتابة ، فأجابهم عندي تلاميذي، كبروا وتفقهوا في الدين ، وأتموا نصف القرآن و درسوا من المتون التي تشرح فقه الصلاة وغيرها، و في مجتمع أناس جاءوا من توات وهم متدينين عارفين بأمور دينهم درسوا في توات عند علماء توات مثل : قدور بوحاجي ، عبيقادر (أبو فاطنة بوحمد عبد القادر) ، وسأكون بهم الجمعة [47] لذلك وكما ورد عن لسان تلميذه حوجي صالح قال الشيخ " ...في ذمتي أنا أقيمها " فأقامها وكنت المؤذن لها[48].

أما حيثيات اتخاذ هذا القرار فكانت كالتالي حسب رواية أحد الشهود العيان وهو تلميذه قدي بوجمعة حيث يقول: حاول تنصيب الجمعة لكن بعض الأهالي لم يرضوا لحجة أن أبلسة فيها فقط العبيد ، فقام العلامة بجمع عيان المنطقة وسألهم من هم العبيد وغير العبيد وصنف العائلات في أبلسة آنذاك وأفتى لهم أن العبد هو الذي اشتراه سيده وهذا واضح، أما أنكم ترون الشخص أسود وتقولون عنه عبدا فذلك باطل وهؤلاء الفلاحين(الحراطين [49]) يعملون فقط من أجل العيش وذلك بمقابل (أي أنهم أجراء) ولم يملكهم أحد [50].

أما بالنسبة للجمعة فأصر أن تقام وراسل بعض المشايخ منهم احمد الفولاني ، الذي جاء من توات واستقر بقرية تيفرت الحاج البكاي الذي استقر في قرية تيت ، وعندما حضروا ضيفهم بالتمر واللبن وأمرني بتحضير الشاي ثم سلمهم المصحف وقال لهم ابحث في المصحف عن الآية رقم كذا في سورة كذا فلما اطلعوا على قوله تعالى، استغفر الفلاني ووضع يديه للخلف فسأله الشيخ هل فهمت ما يجب أن يكون ، فأجاب نعم فقال الشيخ بارك الله فيك وأعاد سألهم هل تقام الجمعة ؟ قالوا نعم تصلى الجمعة، ومنذ ذلك الوقت تقررت أول الجمعة في الهقار[51] وذلك استنادا لقوله

تعالى من الآية التاسعة لسورة الجمعة : (يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) بفضل حنكة وقوه وثبات الشيخ الذي كان متحررا من العوائق الاجتماعية معتمدا على الحجج مستمدة من النص الشرعي و لكونه إنسان فقيه و متمكن في الدين وخاصة أن الآية تنتهي بقوله إن كنتم تعلمون وكأن الشيخ يقول لهم والآن علمتم .

أما دوره الاجتماعي فيظهر من خلال محاولته القضاء على بعض الخرافات في المجتمع حيث كان الناس لا يرددون كلمه " لا اله إلا الله محمد رسول الله" خوف من الموت أو القيامة و المناسبة الوحيد لها هي الجنازة لكن الشيخ شجع الناس عن التخلي عن هذه الخرافات وحدث أن أمر طلبته بأن يرددونها بصوت عال كما أسلفنا الذكر لكسر العراقيل الاجتماعية وما يشوبها من خزعبلات و خرافات .

ومن القضايا الاجتماعية الشائكة و المهمة التي عالجها الشيخ والتي كان لها صدى عند العامة و الخاصة ، بل حتى أنها أخذت طابع قضية رأي عام، وهي عقد قران الزواج عند الطوارق(بين عائلة مغيلي وعائله الحاج موسى) ،العقد قبله البعض ورفضه البعض الأخر وذلك لكون الزوجين إخوة بالرضاعة حيث محص محمد يحضه في المسألة واتصل بالمرأة المرضعة وطرح عليها عده أسئلة حول الموضوع منها : (كم من مرة أرضعته مرة أو مرتين ؟ فأجابت فقط ليسكت ، في أي فصل شتاء أو صيف ؟ وما كنت تلبسين ؟ في أي يوم ؟ وفي أي شهر ؟ فعجزت المرأة عن الإجابة ، فعقد لهم و أفتى بأن زواجهم صحيح ، وقال للرافضين اذهبوا أينما شئتم واسألوا عن صحة هذا العقد فراسلوا العلماء في ليبيا و توات و مالي ، فجاءت الردود بان العقد صحيح [52]و بالتالي الحادثة تعتبر نازلة من نوازل الهقار والتي أنعشت الحياة العلمية بين علماء الهقار وتوات و تمبكتو .

حاول التقليل من الفوارق الاجتماعية في مجتمع من طبقية والحواجز عرقية والقبلية ولكسر تلك الحواجز ، بدأ بنفسه ليقتدي به الناس ، حيث تزوج من مختلف القبائل والطبقات الموجودة انذك ، وكل ذلك من اجل دمج فئات هذا المجتمع كما انه عندما دخل ابلسه اتصل بالطبقة البسيطة طبقة الفلاحين لتواضعه ، وسمو وأخلاقه وحاول النهوض بهذه الفئة ثقافيا ودينيا وهو بذلك طبق مقولة " شعب يقرأ لا يجوع ولا يستعبد " [53].

V نتائج :

ومن خلال ما قام به الشيخ محمد يحضيه من دور بارز في مجتمع الهقار نستخلص ما يلي :

- الشيخ ضحى بكل شيء من أجل كسب العلم وتعليم الناس دون اعتبار من أي منطقه أو عشيرة حيث كان يتنقل بطريقة تلقائية في أرض الله الواسعة حتى استقر به الأمر في أرض الهقار و هنا لا يمكن أن نعتبر خروجه من بلاد شنقيط فرار من الاستعمار كما أورد بعض الكتاب بل من اجل العلم وكما أن الاستعمار كان منتشر انذك في كل إفريقيا جنوب الصحراء.

- مجتمع أبلسة رغم ما كان فيه من أوضاع إلا أن فئات هذا المجتمع كان لديه استعداد فطري وقابلية للتعلم ، ولولا ذلك لما تسنى للشيخ الاستقرار بينهم و القيام بالدور الذي لعبه هناك.

- تعتبر منطقه أبلسة من المناطق المهمة حيث توافد عليها عدد من العلماء من بلاد شنقيط كعبد الله الخراشي ومحمد يحضيه ومن توات كبختي عبد القادر و ابن أخيه الذي تولى الإمامة في المسجد بعد وفاة الشيخ الشنقيطي . فكان لهؤلاء دور في إنعاش المنطقة ثقافيا و خاصة محمد يحضيه ، الذي تخرج على يديه عدد لا يستهان به من الطلبة ومن لعبوا دور في إحياء المنطقة علميا وثقافيا بعد وفاته بشكل مميز تختلف فيه المنطقة عن باقي مناطق الهقار آنذاك وربما وجود هؤلاء حال دون توطن المسيحيين فيها وعلى غرار ما شهد تواجدهم في مناطق أخرى في الهقار.

- الشيخ محمد يحضيه فقيه متمكن في الفقه وتلقى تعليمه في الجامع الأزهر ومن الملاحظ انه أفتى في العديد من المسائل المهمة هناك كالصلاة الجمعة و أحكام الرضاعة و غيرها .

- يمكن أن نعتبر دور موقف الشيخ محمد يحضيه في النهوض بالمجتمع الهقار غياهب الجهل كنوع من المقاومة الثقافية ضد الاستعمار الذي يسعى دائما للمحافظة على سيادة الجهل و التخلف في المجتمعات التي يستعمرها و يستعبدها .

- يعتبر تواجد محمد يحضيه جزء من تاريخ الهقار الثقافي كونه نقل المنطقة من مرحلة إلى مرحله فغير من تاريخ المنطقة لذلك لابد من إستوفاءه بالدراسة ومن الملاحظ أن هذه الشخصية المهمة التي غيرت من مجتمع الهقار القديم إلى حد الآن لم تنل ما يستحقه من الأقلام وذلك بالعودة إلى القلة القليلة من الشخصيات التي كانت معاصره له أو من أبنائه .

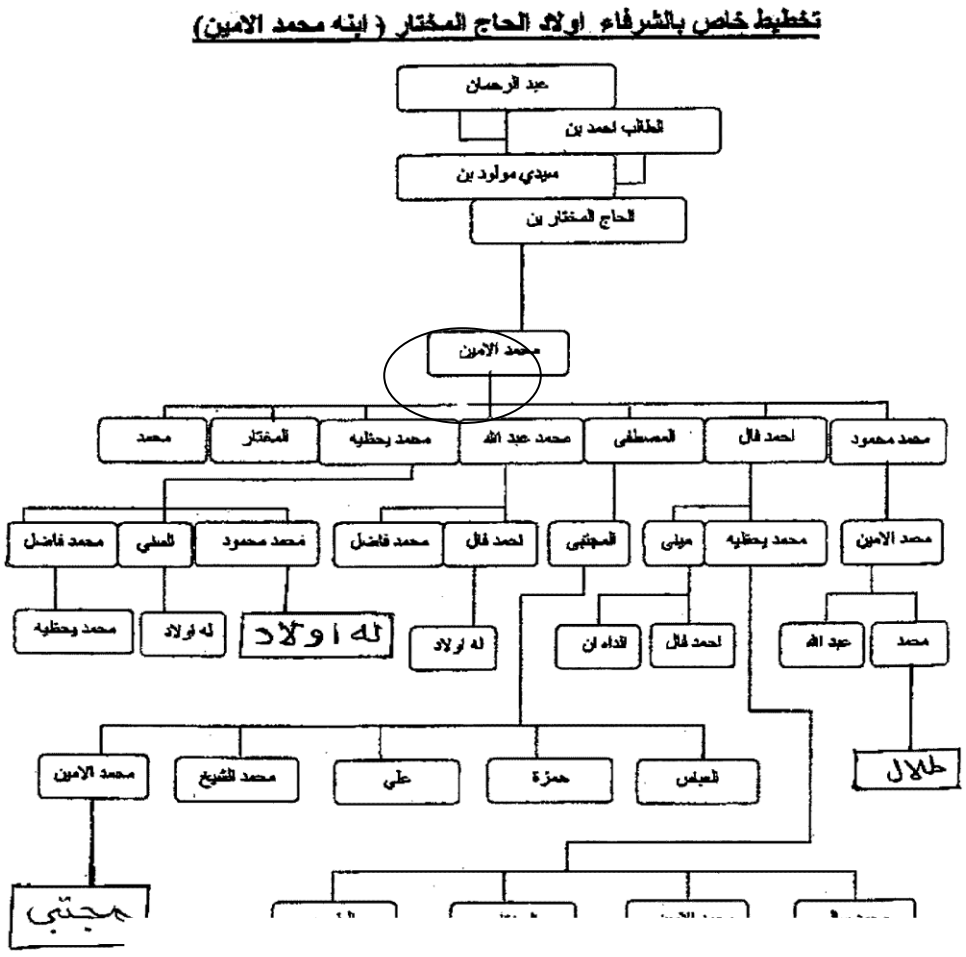

الملحق 1: مخطط يوضح فرع من نسب السماليل في موريتانيا

غالي الشريف : المرجع السابق ، ص 13

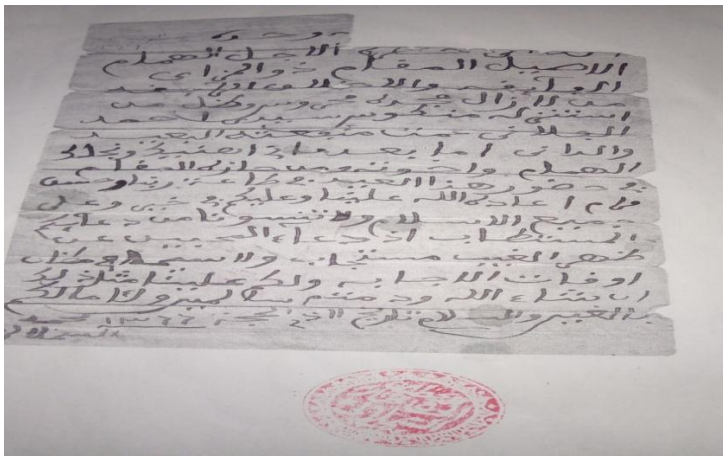

الملحق 2: احد رسائل محمد يحضيه للشيخ احمد الفولاني

الملحق 3: ختم يحضيه السملالي مؤرخ ب 1347هـ

الملحق 4 : صورة للشيخ محمد يحضيه السملالي

(1) حماه الله ولد سالم : تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا) : ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2010 ،ص435 .

(2) بلاد شنقيط او بلاد شنكيطي و هي نطاق يتجاوز جمهورية موريتانيا الحالية إلي رسمها الاستعمار ، فهي تشمل المناطق المجاورة حيث ربطتها وحدة اللغة و العادات و التقاليد و التاريخ و تمتد من إقليم تندوف و الأزواد شرقا و إقليم الساقية الحمراء شمالا وعرفت المنطقة حلول اللغة العربية محل اللغة البربرية وذلك منذ القرن 8هـ / 14م وعرف هذا النطاق بأسماء مختلفة ، قديما بلاد الملثمين ، وحديثا شنقيط ، أما التسمية الحالية موريتانيا فهي اصطلاح روماني معروف وأصله أمازيغي " اتمورتناغ " "تمورتنا "أي أرضنا ولعله يرجع لقبائل المور القديمة . ينظر لكتاب حماه الله ولد سالم : بلاد شنكيطي ، ص17-18.

(3) محمد المختار السوسي، **إيليغ قديما وحديثا** ،المكتبة الملكية ، الرباط ، 1966 ، ص 25 .

(4) واحة في جنوب غرب المغرب الأقصى في إقليم سوس وكانت من أهم المحطات التجارية تمر بها القوافل إلى اودغست انظر كتاب البكري : المسالك و الممالك ، تحقيق جمال طلبة ، ج2 ، ص 346.

(5) محمد المختار السوسي ، المعسول في الإليغيين وأساتذتهم و تلاميذهم و أصدقائهم السوسيين ، ج 12 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1971 ، ص 253، داود بن علي بن محمد الكرامي السوسي، بشارة الزائرين الباحثين في حكايات الصالحين ، تقديم : الحسان بوقدرون ، عبد الرحمان كرومي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1971 ، ص 42 .

(6) صالح حسن الفضالة ، الجوهر العفيف في معرفة النسب الشريف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1971 ، ص 1033 ، مختار السوسي : **إيليغ قديما وحديثا** المرجع السابق ، ص 19 ، الشريف غالي سيدي السملالي: **مذكرة في نسب الشرفاء السماليل في موريتانيا**,ط 1، مكتبة الملك فهد الوطنية, مكة المكرمة, 1476هـ /2005م، ص 49.

(7) صالح حسن الفضالة ، المراجع السابق ،ص 1033.

(8) مختار السوسي، إيليغ قديما و حديثا ، المرجع السابق، ص 227

(9) غالي الشريف ، المرجع السابق ، ص12

(10)مختار السوسي ، إيليغ قديما وحديثا ، المرجع السابق ، ص19 -23 .

(11) نفسه ، ص 25- 26 .

(12)أي صاحب الدمعة لأن الدمعة لا تفارق إحدى عينيه وهي تصغير دمعة وذلك نتيجة لمرض ألم بعينه ، وليس كما يقول بعض المتعصبين له على أنها كانت تدمع من خشية الله ، فنقول لهم لماذا لا تدمع العين الأخرى ، ينظر كتاب مختار السوسي : المرجع السابق ، ص46.

(13) أحمد بن خالد الناصري ، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولة السعدية)** ، تح ، جعفر الناصري ، محمد الناصري ، القسم 2 ، ج 6 ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1955 ، ص78 .

(14) إيليغ : يعني أرض المجد, وورد أن الأمير حينما رأى الموقع أعجبه فقال اللفظ الدارج : "إيليق " أي انه يليق ويصلح للسكن ، فأطلق عليها إيليق ومع مرور الزمن و تطاول الألسن أصبح الاسم إيليغ وفي الغالب أن المنطقة كانت تحمل الاسم قبل اختياره لأنه ليس في العبارة ما يدعوا إلى إطلاقها كإسم للعاصمة . ينظر مختار السوسي: إيليغ قديما و حديثا ، المرجع السابق، ص 64، 65

(15) عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1978 ، ص 412-414 .

(16) هو إسم لقبيلة وهي نسبة لجدهم أحمد أبي الصاد أحد الأنصار المهاجرين أو البصاديين كما يدعونهم ، وكانت تابعة لإمارة السماليل فترة من الزمن ، انظر حماة الله ، تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا) ، المرجع السابق ، ص189

(17) الشريف غالي، المرجع السابق, ص 3-4 .

(18)الشريف غالي، مرجع السابق، ص 4- 5 .

(19) حماه الله ولد سالم ، تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا) ، المرجع السابق ، ص 346-347.

(20) إن خروجه من موريتانيا في سن 16 يعني انه قضى حوالي 24 سنة قبل أن يصل الهقار و يبقى السؤال أين قضى كل هذه المدة و بالتالي نستبعد خروجه في هذا السن أي سنت 1912 ، لذا من المحتمل ومن خلال تقدير انه بقي فقط 7 سنوات بين مصر و الحجاز إلى أن وصل الهقار في 1936 ، فان خروجه من موريتانيا يكون في أواخر عشرينيات القرن أي بعمر الثلاثينيات او أواخر العشرينيات .

(21) اكوار العيد ، أعلام ومشايخ أبلسة، بحث مقدم في الملتقى السنوي الثاني لمشايخ أبلسة ، بلدية أبلسة ، 2009/07/15 . ص 14

(22) مقابلة مع قدي مبارك (88 سنة)، أحد تلاميذ محمد يحضيه ، مقابلة حول شخصية محمد يحضيه السملالي ، هابة خديجة ، أبلسة ، يوم 2018/07/27.

(23) أكوار العيد ، المرجع السابق ، ص 14

(24) حماه الله ولد سالم، تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا) ، المرجع السابق ، ص 201.

(25) بالنسبة لخط سيرة من مصر للجزائر توصلت لمعلومات من خلال الرواية الشفوية إلا أنها مازالت في حاجة للمزيد من التمحيص و البحث لإثبات صحتها .

(26) قدي مبارك ، المصدر السابق . مقابلة مع قدي بوجمعة , قدي محجوب ، تلاميذ محمد يحضيه ، مقابلة حول شخصية محمد يحضيه السملالي ، هابة خديجة ، قرية ايقلن بلدية أبلسة ، يوم 2018/08/02.

(27) انظر الملاحق 2،3،4 ،ص 10

(28)حماه الله ولد سالم ، حجاج ومهاجرون علماء بلاد شنقيط (موريتانيا) في البلاد العربية و تركيا من القرن 9الى القرن 14هـ ، ، دار الكتب العلمية ، 1971، بيروت ، ص 346-347 . اكوار العيد ، المرجع السابق ، ص 14-16 .

(29) الاسم تارقي المركب من كلمتين (أداغ) و معناها (الحجرة) و (مولين) و معناها (بيضاء) نسبة لجبل صغير بالمنطقة والقرية تقع غرب عاصمة الهقار على بعد حوالي 45 كلم ببلدية أبلسة ينظر : بن حود محمد الصالح: زيارة داغمولي بتمنراست بين الدين و الثقافة ، مقال بيومية أخبار اجر .

(30) قدي مبارك ، المصدر السابق ، أما العبارة فهي تشير للفلاحين أصحاب الأراضي الفلاحية ، فعندما دخل الشيخ يحضيه لمدينة أبلسة انذك كانت منطقة زراعية بامتياز لتوفر الماء و الفقاقير ، كانت ذات خيرات زراعية كثيرة وسكانها هم الطوارق ، الأشراف ، الحراطين ، وقد زارها الشيخ أمود قبل الشيخ بزمن حيث استقر بقرية إيقلن فترة تواجده بالهقار وكان له مزارع صغيرة تدعى (تونين) ثم رحل بعد ذلك إلى أجر

(31) اكوار العيد ، المرجع السابق ص16.

(32) قدي بوجمعة ، المصدر السابق .

(33) أحد أهالي المنطقة وهو الشخص الذي بقي عنده الشيخ مدة من الزمن

(34) قدي مبارك ، المصدر السابق . قدي محجوب، المصدر السابق . مقابلة مع السملالي السني2 ،(أستاذ متقاعد) أحد أبناء محمد يحضيه ، مقابلة حول شخصية محمد يحضيه السملالي ، هابة خديجة ، تمنراست ، يوم12 /2018/08.

(35) قدي محجوب ، المصدر السابق.

(36) قدي بوجمعة ، المصدر السابق . قدي محجوب ، المصدر السابق

(37) قدي مبارك ، المصدر السابق . اكوار العيد ، المرجع السابق ، ص16

(38) قدي بوجمعة ، المصدر السابق . قدي محجوب ، المصدر السابق.

(39) نفسه

(40)السني السملالي ، المصدر السابق . قدي محجوب ، المصدر السابق

(41)هو أحد بطون الفولن الذين استقروا في الهقار وهو من أولاد محمد (العم)، من توات استقر في قرية تيفرت التي تبعد عن مقر الولاية تمنراست ب70 كلم انظر محمد باي بلعالم : إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة الفولن في جنوب الجزائر .

42 هو أحد العلماء الشناقطة العلويين سلك بالمنطقة وتوفي في 5 شعبان 1351 هـ ويذكر صاحب كتاب أضواء على الشيخ أحمد التجاني و أتباعه ، عبد الباقي مفتاح أن شيخ محمد عبد الله الخراشي الشنقيطي أقام بمصر سنوات في غدوته للحج وروحته . ص 243 .

(43) قدي مبارك ، المصدر السابق . السني السملالي ، المصدر السابق

(44) اكوار العيد ، المرجع السابق ، ص17.

(45) وربما لهذا سميت باسمهم فقارة أولاد غالي دخل نظام الفقارة للهقار في عهد أمنوكال الحاج أحمد البكاي (1830-1877) وأول فقارة كانت في منطقة إدلس ثم تازروك وقد نجحت تجربة الزراعة هناك وبعدها عممت لمناطق أخري منها أبلسة التي يعود فضل بناء الفقاقير فيها إلى صالح عجلة القادم من التيديكلت واشتهرت هذه الفقارة كونها التي ساهم بها أولاد غالي من الطوارق في نقل الماء لبناء المسجد العتيق ، أنظر فولاني عبد الله : نظام الري في منطقتي توات و الهقار، مذكرة ماستر ، جامعة غرداية ، 2017-2018 ، ص 19-20

(46) مقابلة مع صالح موسى (90 سنة) ، أحد تلاميذ الشيخ محمد يحضيه ، مقابلة حول شخصية محمد يحضيه السملالي ، هابة خديجة ، أبلسة ، يوم2018/07/27.

(47)قدي مبارك ، المصدر السابق

(48)جوجي صالح ، المصدر السابق

(49) الحراطين هم : الحراثين من الحرث وهم الفلاحين المهاجرين من توات وعين صالح و أجر هاجروا .. وللعيش عملوا في مزارع أصحاب الأراضي كما ذكر قدي مبارك : المصدر السابق .

(50) قدي بوجمعة ، المصدر السابق .

(51) نفسه ، أما بالنسبة لعاصمة الهقار فأول صلاة جمعة أقيمت في 7 شوال 1366 الموافق ل 24سبتمبر1947م وقد أقامها الشيخ محمد التوهامي الذي قدم للمنطقة في 14شعبان 1355هـ . انظر كتاب محمد بن موسى بن محمد فيلي : المسجد العتيق بتمنراست ، ص 17-18 .

(52) قدي بوجمعة ، المصدر السابق . مبارك ، المصدر السابق . السني ،المصدر السابق

(53) السني ، المصدر السابق